منهج الشيخ محمد الغزالي في الدعوة إلى الله تعالى

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستهديه ونستغفره، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الدعاة وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد

فإن الدعوةَ إلى اللهِ تبارك وتعالى أشرفُ رسالةٍ عرَفتها البشريةُ، ذلك لأنها رسالةُ الأنبيّاءِ والمرسلينَ من لَدُن سيدِنا آدمَ حتى سيدِنا محمّدٍ عليهم جميعاً الصلاة والسلام، والأنبيّاءُ هم صفوةُ اللهِ من خلقهِ فكانت رسالتُهم أشرفُ الرسالات جميعاً.

والدعوةُ إلى الله تعالى يَجبُ أن تَقومَ على الفَهمِ والحُجةِ والبُرهانِ، و الاقناعُ بها يَجبُ أن يَنهضَ على الحَصافةِ وإحسانِ العظةِ والاحتجاجِ . قال تعالى: **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة** ...

وإن طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ومسلَكُهُ وسنتُهُ، يَدعو إلى اللّهِ على بَصيرةٍ ويَقينٍ، وبُرهانٍ عَقلي وشَرعي، فصلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه ما تعاقَبَ الليلُ والنهارُ.

ورغبةً في السيرِ على طريقِ النبيِّ في دعوتِهِ إلى الله تعالى على بصيرةٍ، والاهتداء بهديِه، كان ولابُدَّ أن تكونَ الدعوةُ إلى اللهِ تعالى بفقهٍ دَعويّ،وفهمٍ واضحٍ جليّ .

ومن رحمة الله تعالى بالمؤمنين أن قيد لهذا المنهج الدعوي من يجدد فيه بين الحين والأخر ففي الحديث يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها "

وقد فسر أهل العلم هذا الحديث، فقالوا : إن كلمة (مَن) ههنا اسم موصول تفيد الإطلاق ، فيحتمل أن يكون المجدد فردا ، ويحتمل أن يكون طائفة من الناس ، يقول الحافظ الذهبي رحمه الله :

" الذي أعتقده من الحديث أن لفظ (مَن يُجَدِّدُ) للجمع لا للمفرد " " تاريخ الإسلام " (23/180)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط ، بل يكون الأمر فيه كما ذكر في الطائفة (يعني قد تكون جماعة) وهو متجه ، فإنَّ اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير ، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد ، إلا أن يُدَّعى ذلك في عمر بن عبد العزيز ، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها ، ومن ثم أَطلَقَ أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه ، وأما من جاء بعده فالشافعي – وإن كان متصفا بالصفات الجميلة – إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل ، فعلى هذا كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد ، سواء تعدد أم لا " "فتح الباري" (13/295)

وكذلك لا يلزم لانطباق وصف التجديد على شخص معين أن ينتصر الإسلام في زمانه ، وأن تكون الدائرة للدولة

الإسلامية ، فقد يكون المجدد في مجال العلم وليس في مجال القيادة والسياسة ، بل قد يكون التجديد في جوانب دعوية أو تربوية ونحو ذلك ، فهذا هو مفهوم إطلاق قوله صلى الله عليه وسلم : (يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)

وإن المتتبع للمائة سنة الماضية يلحظ فيها للشيخ محمد الغزالي رحمه الله تجديدا واضحا في فنون العلم المختلفة، وتجديده في المنهج الدعوي من الوضوح بمكان.

وفي هذا البحثِ والذي جاء بعنوان " منهج الشيخ محمد الغزالي في الدعوة إلى الله تعالى " أبين منهج الشيخ محمد الغزالي في منهج الدعوة وأساليبها كي يستفيدُ الدعاةُ منها.

وقد جاء البحث في مبحثين وأربعة مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول :منهج الشيخ محمد الغزالي في الدعوة إلى الله تعالى .

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: معنى المنهج وحاجة العمل الدعوى للفقه المنهجي .

المطلب الثاني: منهج الشيخ محمد الغزالي في الدعوة إلى الله تعالى

.المبحث الثاني : الوسائل والأساليب الدعوية عند الشيخ محمد الغزالي

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: معنى الوسائل والأساليب والحاجة إلى التجديد فيهما .

المطلب الثاني: أساليب الدعوة في منهج الشيخ الغزالي.

المبحث الأول: منهج الشيخ محمد الغزالي في الدعوة إلى الله تعالى

المطلب الأول: معنى المنهج وحاجة العمل الدعوى للفقه المنهجي .

إن الدعوة الإسلامية تهدف إلى تحقيق أعظم غاية في الدنيا ، وهى التمكين لدين الله في الأرض ، وتحقيق العبودية التامة لله رب العالمين . قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ ()

ولا يعقل أن يسير العمل الدعوى لتحقيق هذه الغاية دون منهجية واضحة ، وأهداف محددة ، وتخطيط دقيق محكم .

وهذا ما أبينه فيما يلي :

أولاً : المقصود بالفقه المنهجي فى العمل الدعوى .

إن الفقه لغة هو الفهم وهو المقصود هنا.

أما المنهج فهو :

أ- لغة : النهج ، والمنهج ، والمنهاج فى اللغة بمعنى واحد ، وكلها تشترك فى الدلالة على الطريق المستقيم الواضح والذى من خلاله يتوصل إلى الغاية بيسر وسهولة ، كما تدل على معنى الإسراع فى السير لوضوح الطريق .

و المعنى اللغويّ لمادة (نَهَجَ) في المعاجم اللغوية: تدور حول معان عدّة أكثرها تخدم غرضًا معينًا هو : (الاستقامة، والوضوح، والبيان، والخطط المرسومة .) ()

" المنهج والمنهاج بمعنى واحد، وهو الطريق الواضح البين، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ () " ()

" و نَهَجَ الطريق : أَبانه وأَوضحه . و نَهَجَهُ أيضًا : سلكه ." ()

وبين المنهج والمقصد علاقة وثيقة " فالمنهاج الطريق، والوصول إلى الشئ إنما يكون عند انتهاء طريقه ، فجملة منهاج الوصول . معناه الطريق الذى يتوصل فيها إلى الوصول إلى علم الأصول ، كما تقول طريق مكة ، أى : المتوصل فيها إلى مكة فليس الوصول فيه ولكنه غايته " ()

المنهج اصطلاحاً : عرّف العلماء . المنهج . بتعريفات عدّة كلها تعود إلى المعنى اللغوي ، وتتفق مع دلالته ، منها : أنه " خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها " ()

والحقيقة أن لفظة المنهج تستعمل فى كثير من الأحيان بصور مترادفة " فالمنهج والمنهاج الدراسى : هو خطة الدراسة ، أى مجموعة المواد والخبرات التعليمية الموضوعة لتحقيق أهداف التربية . والمنهج العلمى : هو الطريقة العلمية فى البحث التى تقوم على الملاحظة ووضع الفرضيات واختبارها والتوصل إلى النتائج وتعميمها . والمنهجية : هى فلسفة الإحياء الدينى فى القرن الثامن عشر فى أوروبا وبدأت فى جامعة أكسفورد حيث تكون دراسة الدين والدعوة إليه على أسس منهجية .والمنهجية مصدر صناعى للمنهج ، وحين نقول : يقوم الباحث بعمله بطريقة منهجية ، أى منظمة غير عشوائية " ()

ب : مرادى من الفقه المنهجى .

و بعد ما سبق أبين المقصود من الفقه المنهجي :

بأنه: فهم الطريق الذي يسلكه الداعية تِجاه المدعو وضرورة أن تكون الدعوة على أساس علمي وخطوات منظمة مدروسة لتحقيق الهدف المقصود من العمل الدعوي .

و يمكن القول أن العمل المنهجي لابد فيه من أمرين:

"الأمر الأول : هدف يسعى هذا العمل لتحقيقه.

الأمر الثاني :خطوات على أساس علمي تُحقق هذا الهدف. ."()

ثانياً : حاجة العمل الدعوى للفقه المنهجى .

هناك أسباب متعددة تبين حاجة العمل الدعوى للفقه المنهجى ، و يمكن القول بأن هذه الأسباب تنقسم إلى قسمين هما :

أسباب شرعية تعود إلى الأوامر التى أمر الله تعالى فيها بالمنهجية ، وأسباب واقعية تعود إلى واقع العمل الدعوى .

أ. أسباب شرعية .

1. الفقه المنهجى شرط لصحة العمل الدعوي .

ليست المنهجية في العمل الدعوي نافلة من القول ولا مستحبة من المستحبات. بل إن المنهجية شرط في صحة العمل الدعوي ، " فمن الحقائق الثابتة عند علماء البحث العلمي أنه ما تقدم علم إلا لأن منهجاً اتبع وما تخلف علم إلا لأن منهجاً افتقد ، أي أن شرط قيام العلم وجود المنهج فإذا ثبت أنه لا صحة لعمل دعوي بدون علم ، صح هذا العنوان وهو المنهج شرط لصحة العمل الدعوي ". ()

والدليل على أن العلم شرط لصحة العمل الدعوي كثير في القرآن والسنة وأقوال وأفعال سلف الأمة الصالح .

فمن القرآن : أول كلمة نزلت على رسول الله وهي الأمر بالقراءة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾() ، والقراءة من أهم وسائل العلم وقوله سبحانه ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾() وقوله سبحانه آمراً نبيه بالعلم ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾() ، وقال تعالى ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾()

وقد ذكر البخاري في صحيحه باباً وسماه باب العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله فبدأ بالعلم .

و تعليقاً على هذا " قال ابن المنير :أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ،فلا يعتبران إلا به ، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم : إن العلم لا ينفع إلا بالعمل ،تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه " () .

وقال ابن حجر () في قول الله تعالى (رب زدني علماً) "واضح الدلالة في فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم" ()

وقال عز وجل : ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾() والمراد هو التعليم والإرشاد وأمر سبحانه من لا يعلم أن يسأل ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ ()

وقال رسول الله للرجل الذي أساء في صلاته ولم يؤد لها حقها من الطمأنينة
"ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" ()
و" عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ رَأَى رَجُلًا لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ مَا صَلَّيْتَ" ()، فكانت نتيجة العمل القائم على غير علم في الحديث السابق وهو الصلاة البطلان ووجوب الإعادة بعد التعلم .
وقال (طلب العلم فريضة على كل مسلم) () .
وفي حديث صاحب الشجة المشهور عندما شجت رأسه وسأل عن كيفية الغسل من الجنابة ، فلما أفتى بعضهم بدون علم قال (قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالَ) ()
وقد ذم الإسلام ما سوى العلم من طرق ، وهذه الطرق هي الظن والتقليد والهوى " () .
ومما سبق يتبين أن العمل لا يصح بدون علم وأن العلم شرط في صحة القول والعمل وبما أن شرط قيام العلم وجود المنهج، إذاً فالمنهج شرط في صحة العمل الدعوي .

2 . ارتباط العمل الدعوى فى القرآن والسنة بالمنهجية .

إن المتأمل لنصوص القرآن والسنة يدرك بجلاء قدر العناية التي أولاها القرآن والسنة لقضية المنهجية فى تحقيق الأهداف، وكيف أن الإسلام كله جاء بأهداف محددة تبني بجموعها الهدف الأسمى والغرض الأعظم الذي جاء الإسلام لتحقيقه ، وهو تحقيق العبودية لله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ . ()
والعبودية لله تعالى لا تختصر على مجرد أداء شعائر ومناسك معينة كالصلاة والصيام والحج وإنما هي " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة "().
وتنقسم الأهداف في المنهج الإسلامي باعتبارات متعددة لكن الأهداف الدعوية إجمالاً (تنقسم إلى قسمين أساسيين :
أ – الأهداف الثابتة : وهي أهداف ربانية حدّدها الله في منهجه ، تهدف إلى الدّعوة إلى الله ورسوله ، والدعوة إلى الانتشار في الأرض لعمارتها بالإيمان والتوحيد والحضارة الإيمانية .
ب– الأهداف المرحلية: والتي تتناسب مع أحوال كل عصر ومصر ، وهذه الأهداف تضعها الطاقة البشرية المؤمنة على طريق الدعوة ، على أساس من منهج الله والواقع" ()
ويمكن القول بأن القرآن ذاته منهج وداخله مناهج ، والسنة ذاتها منهج وداخلها مناهج ، والسيرة منهج ومراحلها المختلفة مناهج .

3. فوائد الفقه المنهجى على العمل الدعوى .

من أسباب حاجة العمل الدعوى للفقه المنهجى الفوائد التى تعود على العمل الدعوى و منها:
"1– يحدد أهداف الدعاة وغايات المشروعات الدعوية ، كما يفيد في حسن الأداء أثناء التنفيذ والتقويم الدقيق بعد ذلك.
2– يساعد في اختيار طرق الدعوة المناسبة والملائمة لكل داعية بحسب قدراته وإمكاناته والمتوافقة مع طبيعة البرنامج والأهداف المرسومة له .

3- يجعل من السهل التوقع لمعوقات العمل الدعوي التي قد يفاجأ بها الداعية .

4- يسهم في ترتيب الأوليات لدى العاملين والقائمين على العمل الدعوي .

5- يعمل على توفير كثير من النفقات المالية والجهود البشرية التي توضع في غير موضعها بسبب ضعف التخطيط أو انعدامه .

6- يفيد في تحديد مواعيد زمنية تضبط بدء الأعمال الدعوية وانتهاءها ؛ وهذا يجعل الداعية قادراً على تقويم أعماله ومدى التزامه بالمدة الزمنية المحددة لتنفيذها .

8- يفيد في التجديد في الأساليب والوسائل الدعوية وفي البعد عن الرتابة والتمسك بالأساليب التقليدية ؛ مع التمسك بثوابت المنهج الصحيح في الدعوة .

9- يفيد في التنسيق بين العاملين أو الجهات الدعوية في الساحة الدعوية بأشكال مختلفة.

10- يفيد في تقويم الواقع الدعوي في المواقع المختلفة ، وفي تحديد مواطن الضعف في الخطة أو في أسلوب التنفيذ ليتم تلافيها في الخطط القادمة . " ()

ومن كل ما سبق يتبين حاجة العمل الدعوى للفقه المنهجى .

المطلب الثاني : منهج الدعوة عند الشيخ الغزالي

1. التثبت من النصوص القرآنية والنبوية :

أولا : النصوص القرآنية :

إن منهج الدعوة الذى نحمله أساسه القرآن والسنة ، وهما منهج الله تعالى الذى رضيه لخلقه وهما المصدران الأساسيان للتعرف على أحكام الإسلام وتعاليمه فى العقائد ، والتصورات ، والعبادات ، والتشريعات ، والأخلاق ، وشتى مناحى الحياة فى عالمنا .

ومن ثم لابد للداعية أن تكون معرفته بمنهج الله (معرفة يقينية حقيقية عميقة لا سطحية مضطربة يستمد معرفته بالاسلام من خلال مصادره الأصلية ، ومن منابعه المصفاة بعيدا عن تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين وبهذا يكون الداعية على بينة ربه وتكون دعوته على بصيرة)[0]

فلا بد للداعية أن يقف على أرض صلبة ،ولن يقف على هذه الأرض إلا إذا كان متثبتا من النصوص التى يحملها ويدرسها عن وعى وهضم وتذوق ،حتى يخرج للناس منها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس ، وقد بين لنا أعلامنا كيف نتثبت من النصوص القرآنية وذلك من خلال واقعهم الذى عاشوه ومنهجهم الذى رسموه ، وأسلوبهم الذى أعدوه .

التثبت من النص القرآنى عند الشيخ الغزالى :

يرى الشيخ الغزالى أن من الأشياء التى تؤدى إلى التثبت من النص القرآنى كثيرة وخاصة فى هذه الأيام التى يتلاعب فيها أعداؤنا برسالتنا ، ويلقون الشبهات ،والتهم حولها فيبين أن التدبر معلم مهم، والمشافهة عامل أساسى ، والتلاوة أمر لابد منه إلى جانب الكتابة التى تعد العامل الأقوى فى حفظ النص القرآنى من أن يتلاعب به أحد ،خاصة بعد وجود التقنيات الحديثة التى أصبحت لا غنى لكل إنسان عن التعامل معها ولا التنازل عنها .

يقول الشيخ الغزالى:(يبدو لى فى هذه النقطة أنه بعد تقدم التقنيات التى مكنت من الحفظ ، والطباعة والتسجيل واسترجاع ذلك بسهولة ويسر ، وأصبح الإعتماد على الذاكرة فى العصر الحاضر محدودا إلى حد بعيد حيث تقوم تلك التقنيات الحديثة مقام الذاكرة ، وكانت الذاكرة فى الماضى هى الوسيلة الوحيدة لحفظ القرآن وتواتره وما إلى ذلك أما الآن وقد وجد القرآن مسجلا ،فقد تكون الحاجة إلى حفظ الذاكرة تراجعت ،وأصبحت الحاجة إلى المدارسة والتدبر هى الأكثر أهمية ، على الرغم مما فى الحفظ من أبعاد تبقى مطلوبة لأكثر من أمر مثل: تكوين المرجعية لمن يحفظ ، وانطباعه بأسلوب القرآن وكلماته ، وتكوين ملكته اللغوية ،إلى جانب استمرار تواتر المشافهة وضرورة استحضار الآيات فى الأداء العبادى ، وإن كان الحضور القرآنى فى النفس الإنسانية سوف لايغنى عنه شئ من تقنيات الحفظ . ولابد من استبقاء التلاوة لأن القرآن تميز ببقائه، وبقاؤه يرجع إلى هذا السيل الموار من الحفظة الذين لا ينقطعون فى عصر من العصور،واستمرار هذه المشافهة فى الحفظ وتواترها إلى جانب الكتابة هو الذى حمى النص القرآنى وضمن استمراره)[0]

والناظر فى كلام الشيخ الغزالى يرى أنه لابد من التعامل مع كل حديث دون التنازل عن الأصول التى تؤدى إلى التثبت الحقيقى للنص القرآنى كالتدبر، والمدارسة فهما دائما يؤديان إلى النماء العقلى لدى الداعية ،ولم يغفل الحفظ لأن

الحفظ له أبعاد أخرى كتكوين المرجعية الحقيقية للداعية وهى القرآن الكريم ، ولكى يتأثر الداعية بأسلوب كتاب رب العالمين ،

ويلفت نظر الدعاة إلى دوام التلاوة لكى يظل ذا صلة بأصول رسالته ما دام حيا ولا ينشغل بغيرها ، ويوجههم إلى استمرار المشافهة إلى جانب الكتابة فهو يرى من خلال تجاربه فى الحقل الدعوى أنهما عاملان أساسيان فى حماية النص القرآنى وضمان استمراره فهذه أمور تجعل الداعية ثابتا فى آداء رسالته متثبتا من النصوص التى يعرضها على مدعويه دون خوف أو قلق ، وتعينه على مواصلة دعوته دون توقف،أو تنازل ،وشيخنا الجليل يقول أن الحاجة إلى الحفظ قد تراجعت، لكن لا ينبغى أن تتراجع حاجتنا إلى الحفظ ؛لأن الداعية أساسه حفظ النصوص التى يحمل بها دعوته؛ لأن أحداث الأيام المتغيرة تجعله يعظ ، ويوجه إلى ما أمر الله عزوجل به، فلو انتظر مراجعة ما أثر فى المدعوين حال الأحداث المتغيرة ، وشيخنا أجاد حين بين الأسلوب الأمثل لحفظ القرآن الذى بين فيه أنه لابد من إعمال التدبر والنظر العقلى مع الحفظ حتى يستطيع الداعية اصلاح الحياة برسالته ويقوم بتوجيه الناس إلى ما يصلح شأنهم دنيا ودين فهو يقول : (لابد من إعادة النظر باستمرار بطريقة توصيل القرآن إلى الطلبة والأطفال ، وإعمار عقولهم بالمعانى الإجمالية التى تتناسب مع عمرهم العقلى، وتعويدهم البحث العلمى فيما وراء الالفاظ)[٥]

ثانيا : التثبت من النصوص النبوية :

ونعنى بذلك أن يكون الداعية على وعى بأن الحديث الذى ينقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا ،فلا يتعرض لما هو ضعيف حتى لا يقضى على دعوته التى يسعى لنشرها منذ الوهلة الأولى، وقد كان أعلامنا شامة فى هذا الطريق ينقلون الصحيح ، وينصحون الدعاة بالبعد عن الضعيف ،أو يبينون لهم ما ضعف منها؛ لأن الدعوة الإسلامية كتب الله سبحانه لها البقاء والدوام، ودوامها وبقاؤها لا يكون إلا بمنهج صحيح ثابت ، وتضعف الدعوة زمنا إذا ما تولى قيادتها من يحتطبون بليل فلا يميزون بين ما صح وما ضعف فيسيئون للدعوة أكثر مما يجب أن يقدموا لها .

التثبت من النص النبوى عند الشيخ الغزالى :

كان دائما ما يدعوا إلى التمسك بما صح عن رسول الله ؛لأن فى الضعيف ما يعرقل مسيرة الدعوة عن التقدم، ويجعلها فى الصفوف المتأخرة ، وقد كتب الله لها الرفعة ، والتقدم والخيرية ولا يؤخرها إلا قوم تمسكوا بما تم وضعه وضعفه ، ولايقدمها ويرفع رايتها إلا قوم تمسكوا بالصحيح وأحسنوا عرض هذه الرسالة على أقوامهم ومن أخذوا بأيديهم إلى طريق رب العالمين ويتحدث الغزالى عن نفسه بأنه يتمسك بما صح عن رسول الله ،ويوجه الدعاة إلى هذا الأمر ، ويحذر من أناس يسيئون للإسلام أكثر مما يجب أن يقدموا له فيقول عن نفسه : (إنني أطيل النظر في كتب السنة ، معتقد أن بها كنوزا ثمينة من تراث النبوة ، واستهدى فطرتي في تجنب الضعيف،وقبول الصحيح ، وهي فطرة صقلتها التلاوة الدائمة لكتاب الله ، والحب الصادق لهذا الوحي المبارك ، والدراسة الحسنة لمناهج الفقهاء الأربعة الكبار ، ومن يليهم من أهل الذكر وقادة الفكر)[٥]

ثم يوجه الدعاة إلى السير على ما صح عن المصطفى صلوات ربى وتسليماته عليه ، حتى لا يكونوا عقبة كئود أمام تقدم الإسلام ونصره قائلا : (والذي يدخل ميدان التدين وبضاعته في الحديث مزجاة كالذي يدخل السوق ومعه نفوذ

مزيفة، لا يلومن إلا نفسه إذا أخذته الشرطة مكبل البدين،ونريد من الجماعات العاملة للإسلام أن تكون يقظة فلا تنخدع بالآثار الواهية ، والأحاديث الموضوعة كما نريد منها أن تعرف المعاني الصحيحة لما صح من نقول)[0]

ويحذر الشيخ الغزالى من أقوام يحملون الإسلام لكنهم يضرونه أكثر مما يجب أن يقدموا له النفع لما يحملون من آثار ضعيفة فيشوهون بها معالم الرسالة الخالدة قائلا : (ويوجد بين المتدينين قوم أصحاب فقر مدقع فى ثقافتهم الإسلامية، وإذا كان لهم زاد علمى فمن أوراق شاحبة بعيدة عن الفكر الإسلامى الصحيح، والأقوال الراجحة لفقهائه، وهم يؤثرون الحديث الضعيف على الصحيح ، أو يفهمون الخبر الصحيح على غير وجهه، وإذا كانت المدارس الفكرية فى تراثنا كثيرة، فهم مع ظاهر النص ضد مدرسة الرأى ، وهم مع
الشواذ ضد الأئمة الأربعة ، وهم مع الجمود ضد التطور)[0]

فمن خلال كلام الشيخ الغزالى نرى أنه يدافع عن الإسلام، ويسعى لحمايته من كل ضعف يلحق به يؤدى إلى عرقلته عن التقدم سواء أكان الضعف فى المنهج،أو فيمن يحملون هذا المنهج، ويوجه الدعاة إلى الطرق المثلى لحماية هذا الدين بالتمسك بالصحيح وترك الضعيف .

2 . فقه النص :

والنصوص تعنى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وعلى هذا يكون معنى فقه النصوص هو: فهم النص بكل أبعاد الفهم، (فليست القضية أن يقف الداعية على مرادات الألفاظ وفقط ؛ بل على كل علم يستلزم وجوده فهم بعد معين رمى إليه النص ، وعلى هذا فالداعية يتساوى مع كل علماء الدين الإسلامى فى العودة إلى الكتب التى عنيت بالنص شرحا وتفسيرا ، وينفرد عن بقية العلماء بأمرين مهمين :

الأمر الأول : أن الداعية يبدأ من حيث انتهى الآخرون فيأخذ من كتب الثقات دون أن يتعمق تعمق المتخصص.

الأمر الثانى : الداعية واسع التجوال بين كل العلوم ، والمعارف يتمكن من فهم النص بكل أبعاده ، ولذلك يقتبس من كل علم نافع ، ويسأل الخبراء ، و أهل المعرفة)[0]

ولا ينبغى على الداعية إذا وصل إلى فهم معين ، وانتفع به المسلون أن يتطاول على من أخطأوا فى هذا الفهم فإن المخطئ فى الإجتهاد مأجور .

أولا : فقه النصوص القرآنية :

إن الداعية إذا ما تعامل مع نصوص القرآن فعليه أن يرجع إلى كتاب الله عز وجل ، وهو ما يعني عند علماء التفسير، تفسير القرآن بالقرآن ، وعند علماء الحديث شرح النص النبوي بآيات القرآن، وذلك لأن دين الإسلام يقوم على أمرين كتاب الله، وسنة رسوله، فلا ينبغى لأحد يريد فقه النصوص وادراكها أن يحيد بعيدا عن كتاب الله وسنة رسوله ؛ لأن الله أدرى بمعانى كتابه من غيره (وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها ويتخطاها إلى مرحلة أخرى ؛ لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه وأعرف به من غيره)[0].

فإذا كان النص قرآنا كريما فينبغي أن يفهم في ضوء القرآن الكريم ؛ وذلك لما فى القرآن

الكريم من مبهم ومبين،وخاص ومطلق،ومقيد وعام، ومجمل ومفصل.ولايظهر هذا إلا للمتأمل فيه (فالناظر في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب ، وعلى الإجمال والتبيين، وعلي الإطلاق والتقييد ، وعلى العموم والخصوص، وما أوجز في مكان قد يبسط في مكان آخر ،وما أجمل في موضع قد يُبين في موضع آخر، وما جاء مطلقًا في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاما فى آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى)()

فهذه أمور مهمة ينبغى على الدعاة وعيها فحين يتعاملون مع القرآن لا بد أن يجمعوا ما تكرر منه في موضوع واحد،وينظروا في الآيات المتشابهة، ليوضحوا المجمل بالمفسر، ويخصصوا العام، ويقيدوا المطلق، محاولين فهم مراد الله من الآيات . فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول فى بيان فقه النص فى ضوء القرآن الكريم حينما قرأ الصحابة قوله تعالى : " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون "() وكأن فرائصهم ارتعدت، وخافوا على أنفسهم. فظاهر الآية أنه لا أمن ولا اهتداء لمن شاب إيمانه بأي ظلم ، وهو يشمل كل معصية ولو صغيرة . لما نزلت " الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم: قلنا يا رسول الله : أينا لم يظلم نفسه؟ فقال النبي:" ليس كما تقولون"ولم يلبسوا إيمانهم بظلم "بشرك ، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: " يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم "()

وبهذا الوعى والإدراك سار كثير من علماء الأمة على هذا الهدى النبوى منهم الحافظ بن كثير رحمه الله ، فقد كان يفسر الآية في ضوء غيرها من آيات القرآن الكريم ، وذكر في مقدمة كتابه تفسير القرآن العظيم أحسن طرق التفسير في ذلك : (أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر)()

فعلى الدعاة أن يكونوا على وعى تام ، وإدراك حقيقى لهذا المنهج حتى لا يقعوا فى أخطاء تضر الدعوة الاسلامية ، وتعوق مسيرتها عن التقدم والرفعة ، وأن يتخذوا السابقين من علماء الأمة قدوة لهم فى هذا المنهج، وسنرى كيف سار فقهاؤنا وأعلامنا بهذا المنهج .

فقه النص فى ضوء القرآن الكريم عند الشيخ الغزالى :

يرى الشيخ الغزالى أن سوء الفقه لآيات القرآن، وعدم الإدراك الكامل لها يؤدى إلى عرقلة الإسلام عن التقدم،ولا يفعل ذلك إلا أناس قل فقههم،وانطمست بصيرتهم، وضعف إدراكهم لمعانى الآيات، فذهبوا يبينون أن الإسلام جاء ليعلن الحرب على المخالف مجزئين بعض نصوص القرآن الكريم دون وعى لأخرياتها؛ لكن الشيخ الغزالى بفقهه العميق، ونظراته الثاقبة لآيات القرآن كلها يبين أن الإسلام جاء ليعلن الأمن والإستقرار ولو كان مع المخالف ، ولا يعلن الحرب، ولا الإعتداء إلا على من اعتدى على المسلمين، أو تطاول عليهم ، أو وقف يتصدى للمسلمين وهم ينشرون رسالة الله إلى الخليقة موضحا هذه الأمور فى بداية سورة التوبة قائلا: (نزلت سورة براءة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا. أى بعد مرور اثنين وعشرين عاما على بدء الوحى.كانت السياسة المتبعة خلالها فى معاملة أعداء الإسلام هى"وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون "() وهى سياسة .كما يرى كل منصف . لا إكراه فيها على دين ولا مبادأة فيها بهجوم! ولكن أعداء الإسلام من مشركين وكتابيين رفضوا أن تشق الدعوة طريقها المسالم، واشتبكوا معه فى قتال انتهى بهزائمهم. فهل اعترفوا بالواقع وتراجعوا عن العدوان؟ كلا. لقد كانوا كالثعلب الذى يتماوت ليظفر بالحياة ويستأنف الغدر والفتك ! وتحولوا فرادى وجماعات إلى فلول تجور على حقوق المسلمين وتنال من مكانتهم . فلم يكن بد من منازلة العابثين وإلزامهم حدود الأدب. وهذا معنى البراءة التى صدرت عن

الله ورسوله ضد هذه القوى الخائنة!! والمؤسف أن بعض الناس جاء إلى الوحى النازل وشرع يتعسف فى تفسيره . فهو يقسم الجملة قسمين يأخذ بأولها وينسى آخرها. مثل قوله بأن السورة شنت حربا هجومية على الكفار جميعا. مستدلا بقوله تعالى:" وقاتلوا المشركين كافة "○ وناسيا بقيتها "كما يقاتلونكم كافة " ومثل فهمه كلمة " الناس" فى قوله تعالى : " وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر "○ فقد فهم أن كلمة الناس تعنى البشر قاطبة، ونسى الاستثناء والتعقيب الواردين بعد هذا العموم وهما أولا قوله تعالى : " إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا "○ فالمعنى واضح حاسم فى أن الحرب ضد قوم معينين ظاهروا علينا العدو واستباحوا حقوقنا. وهل علينا من جناح فى حرب هؤلاء ؟ أما التعقيب فهو بالغ الأهمية . ذلك أنه فى أثناء تأديب المعتدين يظهر أقوام لا ناقة لهم فى الحرب ولا جمل لا يريدون قتالا ، ولا يفكرون فيه . هؤلاء أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بتأمينهم وطمأنتهم وإعادتهم سالمين إلى أرضهم " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون "○ فأين الحرب الهجومية فى هذا السياق النبيل ؟ ويظهر أن الذين فهموا أن السورة إعلان حرب عامة على الكفر نظروا إلى القتال الذى وقع فى مصر والشام والعراق بعد ذلك، وامتد حتى قضى على دولة الفرس، وقصم دولة الروم . وهذا فهم خاطئ كان له مساغ لوأن المسلمين وجهوا جيوشهم إلى رومة والمدائن مباشرة؛ ولكن هذه الإمبراطوريات الباغية كانت تحتل أراضى ليست لها، وتستذل جماهير مغلوبة على أمرها.

فدارت الحروب معها على تحرير الأراضى والشعوب ومنع الاستغلال والاستذلال. وعرض الإسلام بعد ذلك على الشعوب المحررة التى سرعان ما رغبت فيه وذادت عنه . إن سورة براءة بريئة من التحريض على العدوان ، وتشريع الحرب الهجومية على الأبرياء والمسالمين ولننظر إلى صدر السورة مرة أخرى فماذا نرى؟لقد أعطى الإسلام مهاجميه مهلة قدرها أربعة شهور ليروا رأيهم ويرجعوا عن خطئهم "فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين "○ والمعنى أن المهلة ليست عن ضعف فلا تنخدعوا بقواكم المزعومة فعاقبة الغدر وخيمة ، وقد أعلنت هذه المهلة يوم الحج الأكبر الذى يجمع العرب كلهم ، المؤمن والمشرك ، من له عهد ومن لا عهد له حتى يكون الأمر واضحا كل الوضوح فلا عذر لأحد)○

فهنا نرى الشيخ الغزالى يكشف الزيف ، ويدحض الشبهات ، ويزيل الأقنعة التى غلبت غبارها على التعاليم الإسلامية الحقيقية، وذلك لا يكون إلا من خلال فهم واع،وادراك متسع للمعارف الإسلامية التى يأخذها الداعية من المنابع الصافية للرسالة الخالدة بعيدا عن فهم القاصرين ، وسيرا خلف الفقهاء المستنيرين برسالة سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام .

ثانيا : النصوص النبوية :

النص النبوى:هو الحديث الذى جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا،فإذا أراد أى شخص فهم النص النبوى فأول ما ينبغى عليه فعله أن يقوم بعرضه على القرآن الكريم ، حيث أن العلاقة بين القرآن الكريم، والسنة النبوية كالعلاقة بين الشجرة وفروعها، فكما أن الفرع لا يختلف مع الأصل فكذلك السنة لاتخالف القرآن الكريم. قال الدكتور يوسف القرضاوي: (من الواجب لكي تفهم السنة فهمًا صحيحًا- بعيدًا عن التحريف والانتحال وسوء التأويل- أن تفهم في ضوء القرآن ،في دائرة توجيهاته الربانية ، المقطوع بصدقها إذا أخبرت،وعدلها إذا حكمت قال تعالي:"وتمت

كلمت ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم "[0] فالقرآن هو روح الوجود الإسلامي، وأساس بنيانه، وهو بمثابة الدستور الأصلي ، الذي ترجع إليه القوانين في الإسلام، فهو أبوها وموئلها. والسنة النبوية هي شارحة هذا الدستور ومفصلته، فهي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن ، ومهمة الرسول أن يبين للناس ما نزل إليهم . وما كان للبيان أن ينقض المبَيّن ، ولاالفرع أن يعارض الأصل،ولهذا لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن و بيناته الواضحة)[0]

فطبيعة العلاقة بين القرآن والسنة علاقة ناصعة بينة ، فالقرآن الكريم أساس البناء والسنة بيان لمعالم هذا المبنى ،فإذا كانت العلاقة بين القرآن والسنة علاقة قوية فلن تجد تناقضا بين صحيح السنة ومحكم القرآن ، أما إذا وجدت تعارضا فاعلم أنه علم لدى شخص لم يكتمل، أو أن الشخص تخلله هوى فقدم هواه على الحقيقة الناصعة ، أو أنه سوء فهم عن الله ورسوله ، فإذا أراد الدعاة نجاحا فلا بد أن يتم فقه النصوص النبوية فى ضوء القرآن الكريم حتى يتم البيان الحقيقى ، ويتكامل الفهم المراد . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول لأمته فى بيان فقه النص النبوى فى ضوء القرآن الكريم حينما جاءته امرأة عجوز ، ودار حديث بينهما، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمازحها لما قالت له يا رسول الله: ادع الله لى بدخول الجنة فقال المصطفى: "إن الجنة لا يدخلها عجوز"[0] فبكت المرأة فبين لها رسول الله من كتاب الله ما أسرّها ، وأدى إلى انشراح صدرها بقول الله تعالى: " إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا "[0] فمن خلال ما سبق اتضح أنه لاينبغى فهم نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية إلا بعد عرضهما على كتاب الله عز وجل أولا حتى يتبين المعنى المراد ،ويكتمل الفقه الحقيقى لرسالة الاسلام؛ لأن هذا الدين لايمكن أن يفهم بنصوص جزئية ، ولقد كان علماؤنا ينهجون هذا المنهج ، والذى أعانهم على ذلك حفظهم للقرآن الكريم منذ الصغر فما إن يذكر شئ أمامهم لم يتضح فهمه، إلا وتجد أن الذاكرة لديهم قد قامت بتوضيح المعنى المراد دون لبس، أو غموض .

الشيخ الغزالى وفقهه لنصوص السنة :

يرى الشيخ الغزالى أن الاعتماد على القرآن الكريم فى فهم السنة من أقرب الطرق التى تعطى تصورا صحيحا عن الاسلام ، حيث لايوجد حديث يعارض أحكام القرآن الخاصة أو قواعده العامة ، ولا يمكن الاستدلال بحديث وقع تحت أبصارنا لاندرى الظروف التى قيل فيها ولا المدى الذى يعمل فيه ؛فهذا خطأ عانى المسلمون قديما من مغبته، ويعانون اليوم أضراره يقول الشيخ الغزالى : (لابد من دراسة شاملة للقرآن الكريم ، وإحاطة واعية بنظراته في الحياة وتناوله لشئونها ، ولا بد كذلك لمن أراد التحدث فى الإسلام أن يجيل بصره فى طول السنة وعرضها غير مكتف بمعرفة القليل منها. فإذا ورد حديث ما لم يفهم على حده!إنما يفهم على ضوء ما استقر فى الأذهان من جملة الكتاب والسنة . كذلك فعل الأئمة الأولون من خلفاء راشدين ،ومن فقهاء مجتهدين على أن توجيهات القرآن الصريحة ، أو إيماءاته الخفية يجب أن تكون سياجا لا يخترق ، ويجب أن ترجح بكل توجيه آخر مهما صحت روايته ، وذلك حق القرآن وحده)[0] .

ويستطرد فى حديثه قائلا : (ونحن نرى أن الأحاديث الصحيحة نفسها لا يجوز تناولها إلا بعد استكمال النقول المتواترة من كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يجوز إعمالها ، وتدريسها إلا بعد فقه عميق فى أصول الإسلام ، ومقاصده العامة التى لا ريب فيها)[0].

ويضرب لذلك مثالا قائلا : (كثير من المسلمين يحكمون على المرأة ألا ترى أحدا ولا يراها أحد ، وفى المدينة تسبح النسوة فى الطرق يرتدين خياما مغلقة طامسة بها خرقان من أعلى لإمكان الرؤية ، وقد تختفي هذه الخروق وراء قطع من الزجاج أو الباغة . وهذا التقليد

السائد يعتمد على حديث سمعت إمام الحرم النبوي يردده من فوق المنبر في خطبة الجمعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره لنسوته أن يرين عبد الله بن أم مكتوم ، فلما احتججن بأنه أعمى لا يراهما قال لهما: " أفعمياوان أنتما "[0]،وقد استنكرت على الخطيب إيراده لهذا الحديث؛ فإن علماء السنّة تكلّموا في معناه، ومن الجهل بالسنّة تقريره عند بيان وظيفة المرأة ، وأسلوب حياتها، وقواعد اتصالها بالمجتمع العام، ولم لا نذكر السنن التى رواها البخارى فى ذلك، وهي أدق وأصح؟! أثبت البخاري تحت عنوان " باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال " عن أنس رضي الله عنه قال: "لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم وإنهما لمشمّرتان أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما- ظهورهما- ثم تفرغانه- الماء- فى أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم"[0] ،وذكر تحت "باب غزوة المرأة في البحر" سمعت أنسا رضي الله عنه يقول : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنة ملحان فاتكأ عندها ، ثم ضحك . فقالت: لم تضحك يا رسول الله ؟ فقال : " ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل الملوك على الأسرّة "فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم . قال : " اللهم اجعلها منهم "ثم عاد فضحك، فقالت له: ممّ ذلك ؟ فقال لها مثل ذلك. فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم قال:"أنت من الأولين ولست من الآخرين" قال أنس:فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر مع بنت قرظة فلما قفلت ركبت دابتها فوقعت بها فسقطت عنها فماتت"[0]

وذكر تحت عنوان " باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو " أن عمر بن الخطاب قسم مروطا بين نساء من نساء المدينة، فبقي مرط جيد، فقال له بعض من عنده : يا أمير المؤمنين أعط هذا ابنة رسول الله عليه الصلاة والسلام التي عندك- يريدون أم كلثوم بنت علي- فقال عمر : أمّ سليط أحق. وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله عليه

الصلاة والسلام. قال عمر : فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد " أي تخيطها "[0] ، وذكر تحت عنوان "باب مداواة النساء الجرحى في الغزو " عن الرّبيّع بنت معوّذ قالت: كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام نسقي، ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة "[0]، ولنفرض أنّ البخاري لم يرو هذه الأحاديث الصحيحة ؛ أفكان حديث العمياوين يسلط على المجتمع ، ويحجر به على النساء في دورهن فلا يخرجن من هذا السجن أبدا ؟ إن حكما مثل هذا لا يعرف من القران؛ بل إن القران يجعل هذا الحكم عقوبة للنسوة اللاتي يرتكبن الفواحش " واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا "[0])[0].

فنحن نجد الشيخ طيب الله ثراه يوجه الدعاة فى فهم السنة إلى كتاب الله عزوجل ، وأن الداعية لا يصدر حكما من خلال حديث واحد؛ بل ينبغى أن يجمع الأحاديث التى وردت فى الموضوع الواحد ،ويوجه أنظاره إلى الصحيح قبل المختلف فى صحته ، ونحن معه فى أن المرأة شريكة فى بناء المجتمع ، لكن المرأة حالة وجودها فى المجتمع فى حاجة إلى ضوابط منها : أن تعمل فى أمر من شأنها لا من شئون الرجال ، وأن لا يثير ملبسها فتنة الرجال، وأن لا تخضع بالقول لأحد؛ حتى لا تعرّض نفسها للأذى من الخالق والمخلوقين .

التجرد من الهوى

وهذا التجرد يعنى أن الداعية فى حمله لرسالة الاسلام ينبغى أن يتجرد لهذا الدين الذى يحمله ، دون أن يتقيد بفكر ، أو رأى ، أو أن يتأثر بأهواء الناس لمجاملتهم ، بل يحق الحق ويبطل الباطل ، ويقطع دابر أصحاب الهوى والشبهات .

فلا يميل لهذا ضد ذاك ؛ لأن فى ميله هذا عبئ على الدعوة ، وربما صد عنها . فهمّ الداعية الأول توصيل هذه الرسالة إلى الناس خالية من الهوى ، والميل حتى يستطيع جمع الكلمة ، ويوحد الصف ، ويلم الشمل ، ويؤلف القلوب ,

فلا يقوم الداعية بأداء دعوته طلبا للرفعة والحمد عند الناس ، أو خوفا من مذمتهم ، أو خجلا منهم ، أو حمية وغضبا ، أو لأنه اعتاد القيام بهذا العمل .

بل يقوم بإخلاء قلبه من كل شئ إلا إرضاء الله وحده . فيكون فى هذه الحياة لله ، وبالله ، ومع الله . قد صحب الله بلا خلق ، وصحب الناس بلا نفس ، وصحب النفس بالمجاهدة ، وهذا ما قام أعلامنا بتوجيهنا إليه .

التجرد من الهوى عند الشيخ الغزالى :

يرى الشيخ أن الوحى قد كمل ، وفيه ما يؤدى إلى شفاء الناس ، والله هو الذى بين الداء ووضع له الدواء ، فهو الخالق سبحانه أعلم بخلقه منهم يعلم ما يصلحهم ، وما يضرهم " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير"[O] ، فلا ينبغى للداعية أن يجانب الحق بالهوى من أجل الناس فيقول الشيخ الغزالى : (والحق أن الوحى الإلهى فى الرسالة الخاتمة قدكفى وشفى فحدد حيث ينبغى التحديد ، وفصل حيث يستحب التفصيل ، وأجمل وعمم حيث يقتضى الأمر إرسال التعليمات مجملة عامة . وحث العقل على أداء وظيفته فى الفقه والاكتشاف والتبصر والاعتبار ، وحذره أن يجانب الحق بالحدس والتخمين ، وأن يبدد قواه فى اقتحام الغيوب المعجزة،كما علمه الأدب مع الله ورسوله ، فلا مكان لاقتراحاته حيث يتكلم الوحى، ولا لابتداعاته حيث مضت السنة)[O]

فالشيخ الغزالى يريد تنقية الاسلام من أى شائبة تصيبه بأذى ، أو تلحق به الضرر ، أو أن يضاف إليه ما يعرقله عن التقدم ، والاسلام لا يصل إلى هذه التنقية إلا إذا تجرد حاملوه من الهوى ، وأوقفوا أنفسهم لله وحده والشيخ محمد الغزالى تربى فى أحضان الأزهر وشعر بعظم المسئولية الملقاة على عاتقه فجرد نفسه للحق بيانا ، وعرضا ، ودفاعا عن شريعته من أعداء الخارج ، وسوء الفهم لأبناء الداخل ، وقد سارع الخطى لبيان الهوى الذى ينبغى مجانبته قائلا : (والهوى أن يكون الإنسان سئ النية ، أو متجها إلى مأرب من المآرب فيتلو القرآن ويلوى عنقه كى يخدم هذا المأرب، أو هذا الرأى، وهذا هو المحرم شرعا ، لا أن يكون للإنسان رأى فى تفسير القرآن مع ضوابط اللغة التى لايمكن اختراقها)[O] .

وهنا يرفض لى أعناق النصوص التى تؤدى إلى خدمة الأهواء التى تضر الاسلام ، فتهدم صرحه ، وتسعى لتقويض بنيانه .

المبحث الثاني : الوسائل والأساليب الدعوية عند الشيخ محمد الغزالي

المطلب الأول: معنى الوسائل والأساليب والحاجة إلى التجديد فيهما

أولاً: الوسيلة لغة

يدور المعنى اللغوي للوسيلة حول معنى القربة " يقال: توسل فلان إلى الله تعالى عمل عملاً تقرب به إليه، وإلى فلان بكذا تقرب إليه بعلاقة تعطفه عليه " ()

"والوسيلة الوُصْلَة: ودرجة النبي في الجنة والجمع وسائل." ()

وأيضاً "ما يُتوصل به إلى تحصيل المقصود " ()

ثانياً- الوسيلة اصطلاحاً:

يوجد تعريفات متعددة للوسيلة، والوسيلة الدعوية هي "ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور مادية أو معنوية" ()

فلابد للداعية في سبيل تحقيق أهدافه والوصول إلى غايته من استخدام الوسيلة التي تعينه على ذلك فإن الله قد ربط الأسباب بالمسببات وأمر بالأخذ بالوسائل المؤدية إلى الغايات،والدعاة إلى الله أولى الناس بابتغاء الوسائل التي تقربهم إلى الله وتصل بدعوتهم إلى الناس تمشياً مع سنن الله في الأرض حيث جعل من سنن الهداية إرسال الرسل لكرام وتنزيل الكتب وهو القادر على أن يهدى الناس جميعاً.

ثالثاً: أنواع الوسائل:

الوسائل الدعوية أكثر من أن تحصى أو تعد، يظهر هذا جلياً فيما سبق من التعريف بها من أنها " ما يتوصل به من أمور مادية ومعنوية " وما أكثر هذه الوسائل الموصلة.

لكن يمكن من خلال التعريف السابق تقسيم الوسائل بصفة عامة إلى:

"1- الوسائل المعنوية.

- الوسائل المادية.

والوسائل المعنوية هي جميع ما يعين الداعية على دعوته من أمور قلبية، أو فكرية، وذلك كالصفات الحميدة، والأخلاق الكريمة، والتفكير والتخطيط وما إلى ذلك من أمور لا تحس ولا تلمس وإنما تعرف بآثارها...

أ ما الوسائل لماد ية فهى جميع ما يعين الداعية من أ مور محسوسة أو ملموسة، ذ لك كالقول والحركة، والأدوات والأعمال.." ()

أى أن الوسائل المعنوية عبارة عن لصفات الطيبة التي يجب على الداعية أن يتحلى بهاكي يكون له لأ ثر الفعال في المدعوّين.

ويمكن تقسيم الوسائل المعنوية إلى:

(أ- صفات تتعلق بشخص الداعية مثل: الصدق والأمانة والاستقامة.

ب- صفات تتعلق بعلاقته بالمدعوّين مثل: الإيثار، حب الخير للناس، والزهد فيما عند الناس" ()

وهذه الوسائل المعنوية متى توفرت في مجتمع أصبح مجتمعاً متماسكاً له رصيد من الثقافة والحضارة وليس هناك مجتمع أولى بهذه الوسائل المعنوية من المجتمع الإسلامي، ذلك أن دين الإسلام يأمر أتباعه بهذه الخصال الطيبة، ولا يفصل هذه الصفات عن الشخصية المسلمة في أي مجال ولا في أي مكان أو زمان. على عكس الأديان الأخرى التي تفصل بين شخصية الإنسان في الدين عن الدنيا.

كذلك لكثرة الوسائل المادية وتنوعها يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع أساسية هما:

(أ- الوسائل الفطرية: وهى الوسائل الموجودة في فطرة الإنسان وجبلته وتنمو كنموه كالقول والحركة.

ب- الوسائل الفنية (العلمية): وهى الوسائل التي يكسبها الإنسان كسباً، ويتعلمها ويتفنن في إيجادها وتطويرها، كالكتابة، والإذاعة، والتلفاز، وما إلى ذلك.

جـ- الوسائل التطبيقية (العملية): وهى ما يقابل الوسائل النظرية من إعمار المساجد، وإنشاء المؤسسات الدعوية، وإقامة النوادي والمخيمات، والجهاد في سبيل الله... وما إلى ذلك) ()

أي أن الوسائل المادية منها ما هو فطري خلقه الله تعالى وأوجده بقدرته في الإنسان دون تدخل من أحد، ومنها ما يُنال بالكسب والاجتهاد ويعتمد على الأخذ بالأسباب في تحصيله.

فعلى الدعاة إذاً أن يجدُّوا في الأخذ بهذه الأسباب، وعليهم أيضاً أن ينوعوا من استخدام هذه الوسائل.

رابعاً: الحكم الشرعي للوسائل الدعوية.

الإسلام لا يعرف الفصل بين الغاية والوسيلة لا يقر بأن الغاية تبرر الوسيلة إنما يعطى للوسائل حكم الغايات، وللأساليب حكم المناهج

ويمكن تلخيص الحكم الشرعي للوسائل الدعوية في:

- "النص على مشروعية الوسيلة في الكتاب أو السنّة أو طلبها بوجه عام من أوجه الطلب، كالقول، والحركة والكتابة، والتعليم، والجهاد...
- النص على تحريم الوسيلة في الكتاب أو السنّة أو لنهى عنها بوجه من أوجه النهى. كالكذب، والكبر، والحلف والبخل وخلاف الوعد...
- دخول الوسيلة في دائرة المباح. وهى أى وسيلة لم ينص الشارع على مشروعيتها ولم يأت بالنهى عنها، وإنما سكت عنها، فتدخل في دائرة الإباحة بناء على أن الأصل في الأشياء الإباحة.
- خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لغير المسلم.

فقد ثبت نهى رسول الله عن التشبه بغير المسلمين وأمره بمخالفتهم ولاسيما فيما كان شعاراً لهم يعرفون به فقد جاء في الحديث الشريف " عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ r قَالَ خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ " ()

- الترخيص في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال.

كما جاء في الترخيص بالكذب في عدة مواطن فقد جاء في الحديث الشريف: "أن أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ أَخْبَرَتْ أَنَّهَا سَمِعَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا " [0] وفي رواية مسلم: " وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ الْحَرْبُ وَالإِصْلاَحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا. " [0]

والترخيص في الإسلام مقيد بحال الضرورة الملجئة أو الحاجة الملحة، كما أن الضرورات تقدر بقدرها). [0]

وأستطيع أن ألخص هذا الحكم الشرعي فأقول: الوسائل الدعوية كلها مباحة ما لم يوجد دليل ينص على حرمة وسيلة بعينها بناءً على أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يوجد دليل يحرم. وعلى هذا فالأصل في الوسائل الدعوية التجدد والتطور والتنوع بما يناسب أحوال المدعوّين.

خامساً: الخصائص العامة للوسائل الدعوية.

إن هناك خصائص عامة مشتركة لجميع أنواع الوسائل المعنوية منها والمادية " وأهم هذه الخصائص:

- خصيصة الشرعية: أي انضباط جميع الوسائل الدعوية بحكم الشرع، فلا يجوز للداعية الخروج على أحكام الشرع في مناهجه وأساليبه ووسائله.
- وخصيصة التطور: والأصل في الوسائل والأساليب التطور والتجدد، تبعا لتطور عادات الناس وأعرافهم، ولتقدم العلوم والفنون، كما أن الأصل في المبادئ والأهداف والمناهج الربانية والثبات وعدم التحول، تبعاً لكمال الله وعصمة شرائعه وإحاطة علمه.

فإن لكل عصر أساليبه ووسائله في جميع نواحي الحياة، وغن هذه الوسائل المعاصرة قد تشترك مع وسائل عصر سابق وقد تختلف عنها، فالدعية الحكيم هو الذي يختار لكل عصر وسائله المناسبة له والموجودة فيه.

3- وخصيصة التكافؤ: أي الموازة بين الوسيلة والغاية التي تستعمل من أجلها وتكافؤ كل وسيلة بحسبها وبحسب الغاية المستخدمة من أجلها فالإعداد للعدو، والعمل على اكتساب القوة المادية والمعنوية لمقاومته مطلوب، ولا يكفي فيه مجرد الإعداد وإنما يجب فيه بذل الوسع والطاقة لتكون القوة مرهبة للعدو ومخيفة له ولا تكون الوسيلة مرهبة للعدو إذا لم تكن مكافئة لما عنده من وسائل، بل متفوقة عليه، ومن هنا جاء أمر الله عباده بالإعداد موضحاً فيه هذا المعنى فقال:

چ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ چ [0]

فعلى الدعاة واجب كبير في هذا المجال وهو سهل على من يسره الله عليه، إذا فهم هذه الخصيصة ووضع لها خطتها، ولعل واجب الدعاة في هذا الجانب يتوزع على الفرد وعلى الجماعة، كما يتوزع على الشعوب المسلمة والدول المسلمة" [0] إلى غير ذلك من خصائص عامة لا تخفي على الدعاة.

وهذه الخصائص إن دلت فإنما تدل على مرونة الشريعة الإسلامية، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، فهي تتنوع وتطور حسب ما يتطلبه كل عصر ومصر، وفي نفس الوقت فلا تخرج عن نطاق الشريعة الإسلامية من حيث أصولها الثابتة، وهذه مزايا وسمات لا توجد إلا من دينٍ هو دين رب العالمين.

سادساً الفرق بين الوسائل والأساليب.

إن الوسائل والأساليب من المصطلحات المتلازمة التي لا غنى عنها، ويمكن القول في الفرق بين الوسائل والأساليب أن " الوسيلة مسؤلة عن حمل المنهج إلى المدعوّ، والأسلوب فن عرض الوسيلة...

إذاً علاقة الأسلوب بالوسيلة علاقة الفرد بالنوع، وعلاقة الجزء بالكل.

فمثلاً وسيلة القول التي تحمل المنهج تتجلى هذه الوسيلة في عدة أساليب منها:

أسلوب الخطابة أو أسلوب المناظرة أو أسلوب المقال أو أسلوب الندوة أو أسلوب الدرس...الخ. " ()

والداعية يحتاج إلى وضع خطط ونظم لدعوته، وهنا تظهر أهمية المناهج، ولا بد له من التطبيق، وتنفيذ لتلك الخطط، وهنا تظهر أهمية الأساليب، ولا بد من توصيل كل ذلك إلى المدعوّ، ومن هنا تظهر لنا أهمية الوسائل.

وخلاصة القول يظل التلازم قائماً في كل الأحوال والظروف بين الوسائل والأساليب لأن أمر الدعوة كله قائم على المناهج التي تترجم عن طريق االوسائل ولأساليب.

أ. تعريف الأساليب لغة: جمع أسلوب.

وهو يدور في اللغة حول:

1- الطريق والمذهب:

" الطريق والمذهب، يقال سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقه ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته " ()

2- أفانين القول:

" يقال: أخذ فلان في أساليب من القول: أي أفانين منه " ()

ب- تعريف الأساليب اصطلاحاً:

الأساليب الدعوية هي: " الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته أو كيفيات تطبيق مناهج الدعوة " ()

مما سبق يتبين أن المعنى اللغوي يشترك مع التعريف الاصطلاحي في معنىً واحد ألا وهو الطريق.

فالمقصود من أساليب الدعوة إذاً طرق تطبيق الداعية لمناهج الدعوة بما يتناسب مع حال الداعية، والمدعوّ، والمدعوّ إليه.

ج- التجديد في الأساليب الدعوية:

الأصل في الأساليب الدعوية أنها متجددة ومتطورة وتختلف من وقت إلى آخر ومن حال إلى حال وذلك بحسب المقتضيات والأزمان، فقد يصلح أسلوب دعوى معين مع مدعو معين في وقت معين أو حالة معينة فإذا استمر على ذلك دون نتيجة أو جدوى كان على الداعية أن يغير من أسلوبه ويطوره إلى ما يراه أصلح للمدعو.

"والأصل في الأساليب الدعوية – ما عادا أساليب لعبادات – أنها اجتهادية متطورة، يمكن للدعاة أن يحسنوا منها ويطوروها بحسب مقتضيات عصرهم، ويكفي دليلاً على ذلك عمل الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، والسلف الصالح في تطوير أساليب حفظ القرآن الكريم والسنّة النبوية... فقد تطور أسلوب حفظ القرآن من حفظه في الصدور وعلى السطور موزعاً، إلى جمعه كاملاً في زمن أبي بكر الصديق، ثم إلى توحيد المصاحف زمن عثمان، ثم إلى تشكيله وتنقيطه فيما بعد. كما تطور أسلوب حفظ السنّة من حفظها وكتابتها من قبل بعض الصحابة، إلى الاهتمام بتدوينها وجمعها

كاملة، ولتدقيق في أحوال رواتها، وهكذا... والعجب ممن يقف على منهج لسلف لصالح في تطوير أساليب حفظ القرآن والسنّة، ثم يقف جامدا على أساليب دعوية أخرى في الحركة والدعوة لا يفكر في تطويرها ويتحرج من تغيرها وكأنها ثوابت شرعية في نظره.وذلك في الوقت الذي طور فيه الأعداء من أساليبهم وتفننوا تنويعها وتشكيلها واستوعبوا حياة الناس بها. ()

فعلى الدعاة إذاً أن يبدعوا وأن يبتكروا ويتفننوا في أساليب الدعوة بما يناسب المدعوّين في كل زمان ومكان، وألاَّ يقفوا على الأساليب القديمة التي قد لا تتواءم مع تطورات العصر.

د– أهم الأساليب الدعوية

قال تعالى مبيناً أهم الأساليب الدعوية:" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.." ()

ومن الآية الكريمة يتبين أن أهم الأساليب الدعوية هى:

الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هى أحسن.

المطلب الثاني: أساليب الدعوة في منهج الشيخ الغزالي.

أولاً:أسلوب الحكمة عند الشيخ الغزالى :

يرى الشيخ الغزالى أن الحكمة هى التدرج فى نشر الدعوة إلى الناس ،ومراعاة أحوالهم حال الخطاب، ومحادثتهم بقدر ما يعون ، ومد يد العون لهم للانتقال بهم من المستوى الأدنى إلى المستوى الأسمى بطريقة سهلة، ومرنة فيقول: (الحكمة هى : أن أحدث الناس بما يطيقون ففى هذا الموضوع "حدثو الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله "[0] ، وهذا يقتضى أن ننظر إلى حقائق الإسلام كلها بعد جمعها فى صعيد واحد وهى شبكة من التعليمات تتصل بالفرد والجماعة والدولة . ثم : من الذين نخاطبهم ؟ وما ظروفهم ؟ وما أحوالهم التاريخية ؟ والاقتصادية ؟ والاجتماعية والحضارية ؟ فيكون المتحدث لبقا بحيث ينزل تعاليم الإسلام وفق حاجات الناس وما يمكن أن تصلحه هذه التعاليم من أوضاعهم . نحن نريد أن نعلم الناس الإسلام كله فإذا كان الإسلام سبعين شعبة أو يزيد، فلنبدأ بالأهم فالمهم،ونأخذ الناس بطريق التدرج كما فعل القرآن وهو يعرض تعاليمه على الناس. والتدرج سنة قرآنية لها أبعاد تربوية لابد من إدراكها حتى يمكن تبليغ دعوة وإقامة حضارة. فلا بد من أن أعطى الإسلام على مراحل بحيث أنى سأصل إلى الإسلام كله حتما؛ولكن بالطريقة التى أقر بها الإسلام فى القلوب والمجتمعات، وهذا ما يمكن أن أسميه سنة التدرج .ويمكن أن نستعير هنا ما عرف به العرب البلاغة من أنها: مطابقة الكلام لمقتضى الحال. فنرى أنه لا بد من دراسة أحوال المستفيدين من الخطاب،وعمرهم الحضارى،وعقلهم،والمشكلات التى يعانون منها،ثم بالتالى التفكير بما يعرض عليهم، مع احتفاظ الداعى بالرؤية الشاملة للإسلام التى يجب أن ننتهى بالناس إليها)[0] .

فالشيخ الغزالى يضع أمورا مهمة لكل داعية فى كل مكان يحل فيه ، فيبين أنه لا بد من مراعاة أحوال المخاطبين التاريخية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والحضارية ، والتعامل مع المدعوين بالأولويات الأهم على المهم ، والتدرج مع المدعوين؛ لأن من أقبل فجأة يمكن أن يرتد فجاة ، وعدم نسيان الداعية الرؤية الشاملة للاسلام ، وأنه مسئول عن آدائها كلها ، ولا يجمع هذه الأمور إلا من خالط الناس مخالطة واقعية ، ورأى أساليب من آخرين أضرت الاسلام وعرقلته عن التقدم . ومن سار بهذه الأمور نجحت دعوته وإن طال زمن نشرها ؛ لأن هذه الأمور ستؤدى إلى بقائها ، والحفاظ على كيانها .

ثانياً: أسلوب الموعظة عند الشيخ الغزالى :

الذين فى حاجة إلى الموعظة الحسنة هم أناس آمنوا بالله ، ورضوا به ؛ لكن معالم النسيان أبعدتهم أحيانا فاحتاجوا إلى من يذكرهم بربهم ، والواعظ الحقيقى هو الذى يستخرج من الوحى ما يرقق به قلوب الناس ، ويبين لهم أنهم لن يستغنوا عن هداية الله لهم ، ولا ينبغى للموعظة أن تخرج بعيدة عن كتاب الله وسنة رسوله ، وقصرها أفضل من طولها مع التوجيه الصحيح لها،وهذا ما أراد الشيخ الغزالى أن يوضحه للدعاة فقال:(وكم من مبتعد عن الجادة تكفيه فى العودة إليها همسة ناصح أو صيحة زاجر . فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم على الصراط " وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين "[0] وعمل الواعظين فى أغلب الأحيان هو ذلك التذكير النافع . وهو تذكير لا يستغنى عنه الناس يوما . إذ طالما يعصف النسيان بأفكارهم ، ويبعثهم على السير فى الحياة دون وعى أو هدف)[0]، (والخطيب الذى يصلح للتحدث عن الإسلام ، رجل

خبير بالحياة وعللها ، مكين فى الوحى الأعلى. يأخذ منه بلباقة ما يشفى علل الناس ويصلح بالهم. ما يتألف به نافرهم ويسكن ثائرهم .ما يدحض به نزعات الإلحاد ويحبط كيد الشيطان . ما ترق به القلوب القاسية وتنفرج به الأسارير المنقبضة .ما يُشعر الناس بعد الانصراف عنه إلا أنهم فقراء إلى الله ، محتاجون إلى هداياته،لا بصيرة لهم إلا منه، ولا ملجأ إلا إليه)[0]، (ولم يكن الناصحون والوعاظ يذهبون أيام الخلافة الراشدة إلى أبعد من الكتاب والسنة ، ولم تكن فترات التوجيه تتطلب أكثر من ذلك . فعماد العظة : إما القرآن ، وإما الحديث، وإما كلام يدور فى فلكهما ، ولا يعدو حدودهما ،ولا ينضح بغير الروح المستمدة منهما. وخمس دقائق من الكلام الجيد فى خطابة أو درس تملأ صحيفتين كبيرتين)[0].

فبالنظر إلى حديث شيخنا الشيق نجد أنه يضع الضوابط للموعظة الحسنة ، ومنها أن الموعظة تذكير بالله ، ونعمه ، وآلائه ،والناس لما لهم من صلة بالله تعالى سيتوجهون إليه ، والواقعية لدى الداعية أمر مهم فيكون كتاب الله أمام عين، والواقع أمام العين الأخرى،

فيعظ من كتاب الله عز وجل ما يخدم الواقع الذى يحيا فيه ليصلحه، إحياء الإيمان المخدر بالألفة والمودة ، وإشعار المدعوين بأنهم فى حاجة إلى الله سبحانه ولاغنى لهم عنه ، ولا يخرج الداعية عن الكتاب والسنة فى موعظته،وأن يبتعد عن التطويل مراعاة لأحوال الناس. بهذا يستطيع الدعاة اختراق قلوب المدعوين من أقرب الطرق ، ويغرسون دعوتهم فى أخصب الأفئدة .

ثالثاً:المجادلة بالحسنى عند الشيخ الغزالى :

إذا كنا نحن الدعاة إلى الله تعالى نريد الأخذ بيد من خالفنا بالجدال الحسن فأول ما ينبغى فعله الابتداء بالحوار ، واعطاء فرصاشتى لسماع وجهات النظر المتباينة .فلسنا نحن الذين ننكل عن هذه الساحات. إننا أغنى أهل الأرض بالبراهين على مالدينا لأنه الحق،وإذا كنا مسلمين حقا لا نجرى وراء طمع،ولا يستهوينا كبرياء ، فإننا نقبل على كل حوار أعفاء مخلصين ، والشيخ الغزالى يود أن تكون العقول حرة عند الجدال معها براهين مقنعة، لتبين صحة ما لديها فيقول: (فنحن المسلمين مكلفون أن نبسط وجهة نظرنا في كل شيء مقرونة بالأدلة المقنعة التي توضح موقفنا وتحدد من نحن؟ وماذا نريد؟ وكذلك يجب أن نعرف ما لدى غيرنا بدقة وإنصاف ثم نترك للعقل الإنساني العادي أن يقارن ويحكم!إن القرآن الكريم طلب من معارضي الدعوة أن يأتوا بما لديهم من أدلة على وجهة نظرهم " وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"[0] ، وذلك في جداله الحسن مع أهل الكتاب ، وقد تكرر هذا الطلب في الحوار الطويل مع المشركين.

" أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين "[0] ،وانعدام البرهان هو الذي جعل الفتية المؤمنين أصحاب الكهف يزدرون الشرك ويرفضون البقاء عليه " هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا "[0] ، والسلطان البين هو الدليل المقنع ووجهة النظر المحترمة المدعومة ، فمن كان منطقه صفرا من هذا السناد فليواجه مصيره العدل عند الله " ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه "[0] ، والاقتناع الحر أساس النجاح المرتقب ، وهذا يقتضي مهادا طويلا من العناصر الثلاثة التي أحصاها القرآن في دعوته:الحكمة والموعظة الحسنة والجدال الهادي الرفيق، والزمن جزء من العلاج فليس من

العقل أن تبذر اليوم لتحصد اليوم! لابد من إعداد برامج طويلة ، ومن تقليب النفس الإنسانية بين ألوان من الفكرو العاطفة، ومن تجربة مفاتيح كثيرة لنصل إلى غورها، فإن تحويل الناس عن مواريثهم الروحية والاجتماعية جهد بعيد المدى ما ينجح فيه إلا المخلصون الأذكياء)[0].

يغرس الشيخ الغزالى فى الداعية أن ثقته فيما يحمل هو أساس نجاح دعوته، وبحثه على عرض دعوته بأدلة مقنعة، كما يوجه الدعاة إلى عدم استعجال الثمرة مع من تجادله ؛ لأن نفسه تتعلق بموروثات اجتماعية وروحية ، والاطار الرسمى للجدال هو الحرية الكاملة ، والحوار الهادى ، والأدلة المقنعة دون تجريح أو أذى .

وفي الختام :إن أساليب الدعوة عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تحتاج إلي دراسة أوسع وتعمق أكثر ولايمكن حصرها في هذا البحث المتواضع الذي كتب في فترة محدودة

.أسال الله تعالى أن ينفع بهذه الورقات وأن يجعلها في موازين الحسنات اللهم آمين.

والحمد لله رب العالمين